السقوف في مباني العراق القديم
في ضوء المعطيات الآثارية والنصوص المسمارية

ا.م.د محمد كامل روكان

كلية الآثار - جامعة القادسية

السقوف في مباني العراق القديم في ضوء المعطيات الآثارية والنصوص المسمارية

ا.م.د محمد كامل روكان

المقدمة

بدأت ملامح العمارة في أعالي بلاد الرافدين قبل اكثر من ١٠٠٠٠ سنة، ويمكن ان نحددها في العصر الحجري الوسيط، أي منذ بداية التغير المناخي ومغادرة الإنسان القديم الكهوف والملاجئ الصخرية والتوجه للعيش والاستقرار في مستوطنات صغيرة في زاوي جيمي وكريم شهر وملفعات، التي تعرف بانها مرحلة ما قبل الاستقرار السكاني في القرى، وعبر مرحلة زمنية تجاوزت ثلاثة آلاف سنة وصولا الى قرى الاستقرار والزراعة وتربية الحيوان في جرمو وحسونة، تبلور فكر الانسان المعماري ودفعته حاجته الى تصميم مسكن يحتوي مجموعة من الغرف متكاملة العناصر المعمارية ، اسس وجدران ومداخل ومنافذ وارضيات وسقوف. وكانت مواد التسقيف آنذاك مما توفره البيئة من جذوع الأشجار وأغصانها، وكان الطين هو المادة الوحيدة التي يكسى بها السقف.

تنوعت السقوف – في ضوء الأدلة الآثارية على قلتها – مع تنوع المناخ والبيئة، التي تفرض المواد الإنشائية مثلما يفرض المناخ نوع التسقيف غالبا، كالسقف الجملوني والسقف المقبب والسقف المستوي، وهو الأكثر شيوعا. وللاسف لم تكشف أعمال التنقيب في المواقع الآثارية الا القليل من بقايا السقوف، بسبب هشاشة مواد تسقيفها وسرعة تلفها عند تراكم طبقات الأتربة عليها زمنا طويلا، او بسبب تدميرها وتعرضها للهدم خلال الحروب او إعادة البناء او أزالتها لإغراض البناء، لان السقوف هي العنصر المعماري الأول المعرض للهدم أو التدمير في المبنى.

هذه الدراسة محاولة لتسليط الضوء على سقوف مباني العراق القديم وتنوعها وعملية التسقيف في ضوء نتائج التنقيب.

Abstract

Buildings' roofs belong to the number of the most important architectural elements in the buildings in the Ancient Mesopotamia. Their kind depended on climate and environment, as well as building materials. For example, trunks and branches of trees, straw and clay were used for ceiling. Later, people started to use excellent trees imported from other regions, as well as palm trunks and cane, later – bricks and gypsum. The form of ceiling developed as well – from dome to truss and then to the most popular flat roof.

Only few remnants of roofs are found during the archaeological excavations. It happens because of the fragility of building materials, as well as their destruction under the heavy weight of archaeological layers during the long period of time. The deconstruction also happened during wars, reconstruction of houses etc., since roofs belong to the most vulnerable parts of buildings.

This research represents an attempt to discuss the roofs of buildings in Ancient Iraq, the techniques of ceiling works and its kinds in the frames of information provided by archaeological excavations, as well as by some cuneiform texts which contain such data.

السقوف في ضوء المعطيات الآثارية

تعد بقايا المباني القديمة ، بقايا القصور الملكية، المعابد، الزقورات، البيوت السكنية وغيرها، من أهم المكتشفات الآثارية، وقد ساعدت هذه البقايا المنقبين والباحثين على معرفة جوانب من حضارة وتاريخ بلاد الرافدين .

ولابد للمنقب – عند توثيق نتائج التنقيب في الموقع الآثاري – من وصف بقايا المباني التي تم اكتشافها، كمخطط المبنى ومساحته، الأسس، الجدران وارتفاعاتها وسمكها، مادة البناء والمادة الرابطة، مادة الطلاء من الداخل والخارج إن وجدت، الزوايا والحنايا والأرضيات والسلالم والمداخل والنوافذ وغيرها. لكنه يقف عاجزا – أحيانا – عن وصف السقوف وعملية التسقيف في المبنى، لعدم عثوره على ما يساعده في معرفة ذلك أو التوصل اليه، إلا إذا تلمس بعض الدلائل التي تجعله واثقا من وصف السقف والمادة التي استعملت في التسقيف، كوجود بقايا خشب أو أغصان أشجار أو قطع من حصر القصب أو سعف النخيل، أو بقايا حفر ربما كانت تستعمل لتثبيت دعائم خشبية او بنائية تسند السقف، والحقيقة أن هذه الدلائل التي ذكرناها، قليلة ومحدودة جدا، بسبب هشاشتها وتلفها إذا ما تعرضت لظروف مناخية، او تراكم طبقات التراب عليها زمنا طويلا ، لذا يكون المنقب مضطرا للافتراض والاحتمالية عند وصفه السقوف او مواد تسقيفها.

وفي ضوء ما كشفته بعثات التنقيب في المواقع الآثارية فان سقوف المباني القديمة كانت على أنواع، منها سقوفا معقودة على شكل جملون، او على شكل قباب، او سقوفا مستوية، وهي الشائعة في مباني بلاد الرافدين، او سقوف بيوت القصب، التي لم تكشفها أعمال التنقيب بل كشفتها لنا المشاهد المنفذة على الأختام الاسطوانية.

كشفت بعثة التنقيب البولندية برئاسة ستيفان في نمريك، من مواقع العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار، عن بقايا بيوت سكنية، من بينهما البيت المرقم ١، والبيت المرقم ٢ ، كانت مخططاتهما دائرية غير منتظمة، وقد عثر فيهما على بقايا أعمدة ساندة (دعامات)، ترتفع فوق مستوى الجدران، يحتمل المنقب أنها كانت تستعمل لإسناد السقف، الذي كان معقودا على شكل قبة[١]. وفي جرمو، من مواقع قرى العصر الحجري الحديث، حدود الألف السابع ق.م، كشفت بعثة التنقيب الأمريكية برئاسة الآثاري بريدوود ست عشرة طبقة استيطانية، تحتوي بقايا بنائية مشيدة وفق مخططات مستطيلة الشكل، مشيدة بالطوف على أسس حجرية، يحتمل المنقب أن سقوف هذه المباني كانت معقودة بطريقة الجملون، واستعملت أغصان الأشجار المكسوة بطبقة من الطين لتسقيفها.[٢]

وأظهرت أعمال التنقيب في حسونة بقايا عدد من بيوت السكن ذات مخططات مستطيلة الشكل أيضا، ومشيدة بالطوف، تتألف من عدة غرف صغيرة، يعتقد ان سقوفها كانت معقودة بطريقة الجملون، لملائمة هذا الشكل من السقوف المناخ غزير الأمطار، واستعملت أغصان الأشجار او حصر القصب المكسو بالطين في التسقيف[٣](شكل ١)، وفي موقع يارم تبه الى الجنوب الغربي من تلعفر، كشفت بعثة روسية برئاسة كرونيوف في أواخر ستينيات القرن الماضي عن بيوت سكنية، مخططات بعضها دائرية، كانت سقوفها معقودة على شكل قباب.[٤]

وفي الطبقة الخامسة من الموقع نفسه، وتحديداً في المبنى رقم (٣٨٧) عثر على بقايا حصر وطين وجص، يحتمل انها من بقايا سقف ساقط على ارضية البيت[٥] ، وفي موقع ام الدباغية غرب مدينة الحضر، كشفت بعثة بريطانية في سبعينيات القرن الماضي عن بيوت سكنية في الموقع، كان بعضها ذات مخططات دائرية، في الطبقة الثانية من الموقع كانت هناك دلائل تشير الى تحطم القرية وسقوط العديد من السقوف في الأرضيات، التي يبدو من خلال بعض بقاياها أنها سقفت بطبقات من حصر القصب فوق دعائم خشبية كانت تحمل السقف، ثم كسيت بطبقة سميكة من الجص. [٦]

وكشف مالوان في تنقيباته في موقع تل الاربجية عن بقايا عشرة مبان يعود معظمها الى عصر حلف، وهي مبان غريبة الشكل مشيدة وفق مخطط دائري على أسس حجرية، غالبا ما يلحق بها فناء مستطيل، عرفت بالمصطلح اللاتيني بـ(ثولوس)، لانها تشبه القبور المايسينية المتأخرة، يعتقد المنقب مالوان ان سقوف هذه المباني الدائرية كانت على شكل قباب او على شكل مخروطي ربما يكون معقودا من أغصان الأشجار او الخشب مستندا على دعامة خشبية في وسط المبنى. وقد بنى مالوان اعتقاده هذا لعثوره على جزء من قبة مبنية من الطوف بارتفاع ٨٥سم على الأرضية، ربما كانت معدة لتكون فيما بعد سقفا لإحدى الغرف[٧]، أما الفناء الملحق بالبناء الدائري فيرى مالوان انه كان معقودا بطريقة الجملون[٨] ، بينما يرى توبلر انه كان فناء مكشوفا.[٩] (شكل٢)

ويحتمل السيد توبلر منقب موقع تبة كورا أن معظم سقوف مباني تبه كورا كانت ذات سقوف معقودة على شكل قباب، وقد استعملت جذوع الأشجار وأغصانها في تسقيفها.[١٠]

ومع تطور العمارة خلال العصور التاريخية اللاحقة في بلاد الرافدين، وحلول عصر الممالك السومرية والأكدية والبابلية والآشورية، فان أكثر الطرق إتباعا لتسقيف المباني وبالتحديد في جنوب بلاد الرافدين ووسطه هي الطريقة المستوية، التي توفر سطحا منبسطا يمكن الاستفادة منه لإغراض شتى، ثم دفعت الحاجة الى الاستفادة من السطح في بناء طابق علوي ، ويؤكد ليونارد وولي منقب اور ان بعض بيوت اور السكنية كانت مؤلفة من طابقين، بدلالة وجود سلم مبني من الآجر يوصل الى شرفة تؤدي الى غرف الطابق العلوي (صورة ٣)، وهذه الغرف مشيدة على نمط غرف الطابق الاسفل تماما ، وهذا النمط من البناء يشبه تماما البيت البغدادي في عشرينيات القرن الماضي.[١١] (صورة٤)

ومع ان السقف المستوي هو الاكثر شيوعا في العصور التاريخية، الا ان بعض المباني كانت سقوفها معقودة بطريقة الجملون او القباب، حيث كشفت لنا المقبرة الملكية في اور عن عدد من الأقبية، يرجع تاريخها الى ٢٧٥٠ ق.م، كانت سقوفها معقودة بالآجر على شكل جملون او عقود نصف دائرية[١٢](صورة ٥)، وعثر في اور ايضا على عدد من القبور كانت معقودة على شكل الجملون تحت أرضيات البيوت، (صورة ٦) ، كما كان سقف قبر الملك شولكي، الملك الثاني من سلالة اورنمو، معقودا بالآجر على شكل جملون[١٣]، وبطريقة مختلفة عما تعارف عليه بالتسقيف، اذ عمد البنّاء بعقد الآجر بشكل متدرج. (صورة٧)

واتبع الآشوريون أسلوب التسقيف بالآجر والجص لتسقيف بعض القاعات الملكية بطريقة القبو نصف الدائري، اذ يتم تسقيفها باستخدام الجص سريع الجفاف لربط آجر التسقيف.[١٤]

واحتفظت بيوت القصب (الصرايف) بشكل سقوفها المعقودة، منذ ظهور استخدامها في جنوب بلاد الرافدين حتى يومنا هذا في قرى اهوار العراق، ومن المؤسف له ان أي من بعثات التنقيب في المواقع الآثارية لم تعثر على بقايا لهذه البيوت القصبية ، بسبب هشاشة مواد بنائها وسرعة تلفها وتحللها تحت ركام الطبقات الترابية، لولا ان الأختام الاسطوانية قد حفظت لنا أشكالها من خلال المشاهد المنفذة عليها. (شكل٨)

طرائق التسقيف

لقد كان للمناخ أثر كبير في تحديد سقوف مباني بلاد الرافدين، كما للبيئة أثرها فيما توفره من مواد تستعمل للتسقيف، فمناخ المناطق الشمالية كثير الأمطار وتساقط الثلوج دفع السكان في نمريك، يارم تبه، تبه كورا، وفيما بعد جرمو وحسونة وغيرها من القرى الى تسقيف بيوتهم بسقوف مقببة او جملونية، وذلك لمنع تجمع الأمطار، وتسهيل عملية تصريف المياه او الثلوج من على سطح السقف، لذا يُعتقد ان عملية تسقيف السقوف المقببة او الجملونية كانت تتم بتثبيت دعائم خشبية او بنائية في حفر وسط أرضية

المبنى، وتكون ارتفاعاتها (الدعائم الخشبية) اعلى من ارتفاع الجدران لتعطينا سقفا ذا جوانب مائلة الى الأسفل، ثم ترصف جذوع الأشجار وتربط مع أعلى الدعامة الى أعلى جدران البيت، وتسد الثقوب بأغصان الأشجار والقش، ثم يُسيَّح الطين عليها. وهذه السقوف المقببة في البيوت الدائرية او الجملونية في البيوت المستطيلة كانت ملائمة للمناخ الشمالي كثير الأمطار، كما ان العثور على بقايا اخشاب وقطع من حصر القصب والقش والطين والجص في أرضيات بعض المباني في موقع ام الدباغية ويارم تبه يعتبر دليل على أنها بقايا مواد تسقيف.

اما السقوف المعقودة بالآجر على شكل الجملون، كما في قبر شولكي في اور او في مبان اخرى، فقد تم تسقيفها بوضع الآجر بطريقة أفقية على آخر صف من الجدار، مع استعمال مادة رابطة كالجص او القير او حتى الطين احيانا، وتُبرز الآجُرّة عن الآجُرّة التي تحتها، ثم تكرر الطريقة ذاتها حتى الانتهاء الى أعلى نقطة في السقف الجملوني، او تسقف بطريقة وضع قالب خشبي ملائم لشكل العقد الذي يراد بناؤه، ثم يتم التسقيف بالآجر بطريقة أفقية متساوية مع استعمال المواد الرابطة. ولا نرى ان هناك حاجة في جنوب بلاد الرافدين لجعل سقوف المباني جملونية إلا لغاية جمالية و إبداع هندسي مبتكر، ذلك لان مناخ جنوب بلاد الرافدين الجاف والحار صيفا وقليل الأمطار شتاء لا يستوجب مثل هذه السقوف أبدا، بل العكس تماما كانت الحاجة في بيوت الجنوب الى سقوف مستوية تنشأ منها سطوح مستوية يمكن الاستفادة منها.

ولجأ الآشوريون – أحيانا– إلى استعمال الآجر والجص في تسقيف أقبية (عقد نصف دائري) بعض القاعات الملكية دون اللجوء لاستعمال الخشب، ويرتكز هذا القبو من الجانبين على جدارين متقابلين تفاديا للدفع الجانبي له، ولكن استعمال الخشب بالتسقيف عند الآشوريين كان سائدا ايضا، إذ عثر المنقبون على بقايا خشب متفحم في أرضية قاعات القصر الشمالي الغربي للملك آشور– ناصر– ابلي الثاني، الذي يحتمل انه كان جزء من السقف المتساقط، مما يدل على استعمال الخشب في السقوف أو كدعائم لإسناد السقوف، ويحتمل ايضا أن معظم قاعات القصور الآشورية كانت ذات سقوف مستوية مؤلفة من جذوع الأشجار وعليها طبقة من الحصر المكسو بالطين. [١٥]

ولاختلاف مناخ جنوب بلاد الرافدين عن شماله، في قلة الأمطار، وعدم تساقط الثلوج، وما وفرته البيئة الجنوبية من مواد تسقيف كالقصب والبردي وجذوع النخيل وسعفه، صار ممكنا أن تسقف معظم السقوف بطريقة مستوية، سواء كانت سقوف قصور ملكية او معابد او بيوت سكنية، لتكون سطوحها منبسطة للاستفادة منها.

وتشير المصادر الى ان سقوف بابل كانت معقودة بشكل مستوي، واستعملت الجسور والألواح الخشبية في تسقيفها، ويتم رصف حصر القصب و يسيح الطين فوقها، وقد حرصوا على جعل جوانب السقوف مائلة قليلا لتصريف مياه الأمطار من خلال أنابيب فخارية(ميازيب). [١٦]

ان التسقيف بالطريقة المستوية أسهل من التسقيف بالطريقة الجملونية او المقببة، وكانت تتم (أي: التسقيف المستوي) بمد جذوع النخيل او الجسور الخشبية فوق الجدارين العرضيين المتقابلين في الغرفة او القاعة[١٧]، ثم ترصف المسافة بين الجسور بألواح خشبية، تفرش فوقها حصر القصب (البواري)، ثم يسيح عليها الطين، ويفضل ان تكون النهايات الجانبية للطين المفروش على السقف اقل سمكا من الوسط لتسهيل عملية تصريف المياه الى الأسفل. ويبدو أن سكان بلاد الرافدين استعملوا أنواعا متنوعة من الأخشاب في التسقيف، للاسف لم تسعفنا اعمال التنقيب بمعرفتها، لولا ذكرها في النصوص المسمارية، كاخشاب الارز والسرو والعرعر ذي الرائحة الطيبة واخشاب شجر الحور واخشاب السيدار واخشاب اشوخو واخشاب الصنوبر. وقد حرص ملوك بابل وآشور على تسقيف قاعات وغرف قصورهم بهذه الانواع من الاخشاب[١٨]، «... أنا سقفتهم بأعمدة من أشجار الارز والسرو.....» [١٩] ، «... أنا سقفته بأعمدة العرعر، لاجعله ذا رائحة طيبة...» [٢٠] ، «...ستون عمودا من خشب الحور هي كافية لتسقيف...» [٢١]

وظل بيت القصب عبر كل العصور التاريخية في بلاد الرافدين والى يومنا هذا محتفظاً بشكله وسقفه القصبي وطريقة تسقيفه، التي لا اظن انها اختلفت عما كانت عليه، بحسب ما زودتنا به المشاهد الفنية على الأختام الأسطوانية (صورة ٩)، ويتضح ان مواد التسقيف وعملية التسقيف ذاتها لم تتغير ايضا، اذ تتم بتجهيز حزم من القصب تربط جيدا لتشكل هيكل البيت، ثم تغرز هذه الحزم بحفر معدة لها بصفين متقابلين، تملأ بعدها بالتراب وتدك جيدا، ويتم ثني حزم القصب من الأعلى الى الداخل وتربط رؤوسها مع بعضها مكونة أقواسا هيكلية لتشكل السقف الجملوني المقوس لبيت القصب. (صورة ١٠)

السقوف في النصوص المسمارية*

قبل البحث عن السقوف والتسقيف في النصوص المسمارية ، لا بد لنا من معرفة كلمة سقف ، وفعل التسقيف (سَقَّفَ) في السومرية والاكدية وبعض الصيغ الاسمية منه .

يطلق على السقف في اللغة السومرية (UR_3)، ويقابله في الاكدية (ūru)، ومنه السقف العالي (ūrueluti)[٢٢]، كما اطلق على التسقيف في السومرية GIŠ.KEŠ$_2$.DA، ويقابله بالاكدية taṣliltu [٢٣]، ويطلق على من يقوم بعملية التسقيف ṣullulu، اي: سَقَّفَ[٢٤]، ويقابله بالعربية (ظَلَّلَ)، كما ارتبطت بهذا الفعل الكلمة ṣulultu ، التي تعني ايضا سقف. [٢٥]

اما المصطلح السومري GIŠ.BAL ، فيعني: مسقوف ، ويقابله بالاكدية ruggubu[٢٦]، ويطلق على انهيار السقف بالسومرية المصطلح ŠUB[٢٧] ، وبالاكدية miqtu.[٢٨]

عموما ورد الفعل (ṣullulu) بصيغ واشتقاقات مختلفة في النصوص المسمارية [٢٩]، وهو يعكس بطبيعة الحال استعماله الواسع من قبل سكان بلاد الرافدين في حياتهم اليومية.

وقد امدتنا النصوص المسمارية بمعلومات جيدة عن سقوف المباني وتسقيفها، والمواد التي استعملت بالتسقيف ، فضلا عن معلومات أخرى .

وكما هو معلوم ، فالتسقيف المستوي يتم بوضع جسور خشبية على الجدران المتقابلة، تنشر بعدها الواح خشبية وتوضع حصر القصب ثم يسيح فوقها الطين، وجاءت اشارة في نص مسماري الى وضع اعمدة السقف على جدار الطين «...جدار من الطوف وضع عليه اعمدة السقف...» [٣٠]، وكانوا يغطون الأعمدة الخشبية او الجسور الخشبية بألواح خشبية لسد الثقوب، كي لا تتسرب من خلالها مياه الامطار الى الداخل «... يجب عليه تغطية أعمدة السقف بألواح من الخشب ...» [٣١] ، وفي بعض الأحيان يقومون بتقوية السقف، فيضعون حصر القصب فوق بعضها لمنع تسرب مياه الامطار او لتلافي تلفها «...حتى لا ادع الأمطار الغزيرة تؤثر عليها (ضاعفت السقف)...» [٣٢]، ويمكن استعمال سعف النخيل بدل القصب عند عدم توفر القصب خلال المباشرة بالتسقيف «...سقف المنزل ، وإذا لم يكن هناك حزم من القصب، ينبغي أن تجلب سعف النخيل...» [٣٣]، ومن اجل تقوية الدعائم الخشبية التي ترفع السقف كانوا يستعملون انواع من المسامير الخشبية تعرف بـ (التنوب) «.... في كل مكان انا وضعت مسامير من خشب التنوب وقويت دعامات السقف بها لتسقيفها...» [٣٤]، وكان يستعملون الطين لاكساء السقوف من الأعلى «... تم اكساء السقف (والان) هم يقوموا بعملية تقطيع القصب للبيت القديم وتغطيته بالطين...» [٣٥]، كما استعملوا الجص للسقوف ايضا ، ويبدو انهم كانوا يطلون به السقف من الداخل، كما انهم يهيئون مجاري المياه ، التي كانت عبارة عن انابيب فخارية (ميزاب) ليضعوها في اماكانها الخاصة لتصريف مياه السقف «...إنهم يضعون جص السقوف، ويضعون المجاري في مكانها....» [٣٦]، ومن اجل تبريد البيت كانوا يعمدون إلى رش البيت والفناء والسقف، وقد اشار نص مسماري الى الغرف العلوية في البيت، وهذا مصداق لرأي وولي في وجود بيوت ذات طابقين في اور، كما اسلفنا، «... قمت برش الفناء والسقف والجزء العلوي من الغرف والشبابيك ..» [٣٧] ، وقد وردت إشارات في النصوص المسمارية تشير الى ختم بعض السقوف عند الانتهاء من تسقيفها، وربما ارادوا بذلك التعريف بالعامل الذي قام بعملية التسقيف «...لقد انتهيت من ختم (؟) السقف..» [٣٨]، وعادة ما يكون الختم على سطوح السقوف المبنية بعد ان يتم ترطيب طينتها ثم ختمها «... لتبلل سقف الطين من أجل ختمه...» ، وكانت عملية التسقيف تتطلب جهودا جماعية أحيانا، حيث ذكر في احد النصوص عدد عمال التسقيف «...أربعون عاملا قاموا بعمل السقف العام الماضي...» [٣٩].

سقوف المعابد والقصور

ارتبط التسقيف بالمظاهر العمارية الدينية وخاصة المعابد التي كان يخصص لبناء سقوفها الاخشاب الجيدة، ومن الاخشاب التي ذكرت بالنصوص المسمارية، وعلى وجه التحديد في اعمال التسقيف هو أخشاب الارز، و أخشاب السيدار، و أخشاب التنوب، و أخشاب العرعر، فحرص ملوك

بلاد الرافدين على الحصول على هذه الاشجار لتسقيف معابدهم وقصورهم «... اما بالنسبة الى جسور خشب الارز (التي ارسلت الى بابل وسبار وكوثا) لتسقيف المعبد..» ، «.. انتقيت احسن أخشاب الأرز من اجل تسقيف مقر معبد سيادته...» ، «... جلبت أخشاب الأرز الكبيرة من لبنان ، الغابة الجميلة لتسقيفه (أي قصره) ...» ، «...عملت مقر سيادتي نفيسا، وسقفته بأخشاب الأرز العظيمة، التي هي من منتجات الجبال العالية، وأخشاب اشوخو الثخينة وجسور الصنوبر الأشجار البهية، وضعتها على سقفه، وصنعت أبوابا من أخشاب عمان ومن خشب الأرز وخشب الصنوبر ....» [٤٠] ، «...معبد الإله انليل ....انا سقفت ذلك المعبد بخشب السيدار في آشور...»[٤١]، وفي اشارة أخرى لاستعمال خشب السيدار في السقف باعداد كبيرة لتقويته «... انا استخدمت خشب السيدار وخشب التنوب بأعداد لا تحصى (لعمل) الدعائم ولسقف المعبد...»[٤٢]، وتقديسا للاله انليل وتعظيما لمعبده يختارون افضل الاخشاب «...في مدينتي آشور قمت ببناء مسكن لسيدي إنليل، سقفت المعبد بخشب الارز...» [٤٣]، وكان الملوك يذكرون في نصوصهم أسماء المناطق التي يجلبون منها الاخشاب «...جلبت خشب السيدار من لبنان لعمل سقف المعبد ولبوابة ممره...»[٤٤] ، ويتباهون بجعل سقوف معابد إلهتهم ذات روائح طيبة «...جعلته (المعبد) عبيراً حلوًا مثل بستان الأرز بتسقيفه بأخشاب كثيرة...»[٤٥] ، ويسقفون بوابات المعابد بالأخشاب ذات الرائحة الزكية ايضا«... انا دعمت بأعمدة خشب السيدار سقف البوابة الشمالية لمعبد الايزيدا...»[٤٦]

واحتل القصر الملكي مكانة مرموقة في حضارة بلاد الرافدين، فهو يعكس هيبة وعلو شان المملكة من خلال مرافقه العمارية، التي تعكس قوة وعظمة وهيبة الملوك، وقد ورد في النصوص المسمارية معلومات تتعلق بتسقيف قاعات وغرف القصور، التي كانت تسقف بانواع مختلفة من الخشب، ومما يلاحظ ايضا ان الاخشاب والاعمدة المستعملة في تسقيف القصور تكون اكبر من مثيلتها المستعملة في بناء البيوت، والسبب في ذلك يعود الى ان القصر يحوي على مرافق عمارة اكبر حجما من حجم غرف بيوت السكان العاديين ، ولذا فان القصر يحتاج الى الاعمدة الطويلة التي تغطي سقوف قاعاته «...اعمدة طويلة من خشب العرعر سقف بها قصره...»[٤٧]، وكما في سقوف المعابد فهم يختارون لسقوف قصورهم الاخشاب الجيدة ذات الروائح العطرة «... هو سقف (قصره الملكي) بأعمدة من خشب العرعر وجعل رائحته طيبة...»[٤٨]، «...لقد بنيت قصور لإقامتي الملكية ونشرت الاعمدة الخشبية الكبيرة من الأرز سقوفا لها...»[٤٩]، و لتقوية السقف يختارون الاعمدة السميكة «...أنا وضعت هناك (اعمدة) خشب الارز السميكة للسقف وأبواب بواباته...» [٥٠]، وتجلب هذه الانواع من الاخشاب ذات الروائح العطرة اما عن طريق التجارة، اذ يتم جلبها من جبال الامانوس في لبنان، فيتم تقطيعها وجلبها الى بلاد اشور لبناء المعابد والقصور الملكية «...قطعوا اشجار الأرز الكبيرة في «جبال» الأمانوس «وجروها إلى نينوى لتسقيف القصور»...»[٥١] ، او عن طريق الحملات العسكرية «...لقد قمت بتسقيفها بأعمدة من خشب الأرز التي قطعتها خلال مسيرة حملتي...»[٥٢] ، وكان الملوك يعمدون احيانا، عند

الانتصار في معركة، بازالة وتهديم قصر الملك االعدو واخذ اعمدة الخشب من سقف قصره «...لقد ازلت الاعمدة من سقف قصره...»[٥٣].

وتعظيما للمعابد والهتها وللقصور وهيبتها، كانوا يختارون لها الاخشاب الجيدة ، وفي بعض الاحيان يقومون بتغليفها بالذهب والفضة والاحجار الكريمة ، فضلا عن اعمال اخرى لابراز هيبتها وعظمها «...لقد غطيت أعمدة الأرز لسقف غرفة الإله نابو بالذهب...»[٥٤] ، «... انا غلفت بالفضة سقف البوابة الشمالية، وجعلتها تشع مثل ضوء النهار من اجل مجيء وذهاب الأمير نابو حينما يزور بابل...»[٥٥]، «...غلفت أعمدة سقف الأرز بالفضة والأحجار الكريمة...»[٥٦]. او يقومون بطلائها بالوان جميلة، كاللون الذهبي او الفضي «.... وطليت اعمدته الخشبية من خشب السيدار بطلاء فضي...»[٥٧]، وعند اتمام بناء القصور واكتمال تسقيفها فانهم يقدمون وينحرون القرابين للالهة فوق سطح القصر من اجل ان تحفظ حياة الملك «...قرابين من الاغنام للملك عُملت (ذبحت) فوق سطح القصر من قبل صانع العطور...».[٥٨]

صيانة السقوف

اعتاد الناس على صيانة سقوف مساكنهم قديما وحديثا ، للحفاظ عليها من التلف ، ولاستمرارية مقاومتها للظروف الجوية ، ومن الطبيعي ان السقوف المشيدة بالاخشاب وحصر القصب والطين تحتاج الى اعمال صيانة اكثر ومستمرة ، وقد ورد في نصوص مسمارية اشارات الى اعمال صيانة اجريت للسقوف ، وتكون الصيانة احيانا جزئية ، اي الى اماكن معينة من السقف ، لازالة تلف او تغيير جزء معين ، او قد يحتاج السقف كله للازالة اذا تطلب ذلك ، لعدم صلاحيته وتلفه ، لاستبداله باخر، وتجري الصيانة احيانا على الجدران و السقوف معا، «... ازل خمسة عشر سافا من اجر متراس البرج وكذلك السقف... »[٥٩].

وبسبب الظروف الجوية ومناخ بيئة بلاد الرافدين القديمة من حر وجفاف ورطوبة في الصيف وبرودة وامطار في فصل الشتاء، الذي يؤثر بشكل كبير على مواد التسقيف، الامر الذي يتطلب اجراء اعمال صيانة للسقف، كالقيام بسد الثقوب والفتحات قبل موسم الامطار«...كل عام يجب ان تسد (ثقوب) السقف... »[٦٠]، واشار نص اخر الى صيانة السقف وازالة الاعمدة الخشبية التالفة، التي ترفع السقف واستبدالها باخرى مكانها «... لقد قمت بإزالة اعمدة السقف التالفة وقمت بتعيين حزم جديدة في مكانها...»[٦١].

وهناك اشارات تشير الى تثبيت انابيب تصريف مياه الامطار فوق سقوف الغرف العلوية، ثم اكساء السقف بالطين «...(بدلًا من الإيجار) ، سيسقف (سقف) الغرفة العلوية ، ويثبت أنبوب التصريف، ويسيع السقف.. »[٦٢]،

وقد اشار احد النصوص المسمارية – وهو عقد استئجار بيت سكني، وتضمن الاتفاق اجرة البيت والمدة الزمنية – الى عملية صيانة البيت من قبل المستأجروالاتفاق على استقطاع نفقات الصيانة من الايجار، وتشمل هذه الصيانة الجدران والابواب وكذلك السقوف «...سيقوم (المستأجر) بربط السقف وتقوية السوف التي تعاني من الرطوبة ... »[٦٣]، وفي نص اخر «... هو سوف يصلح السقف ويصلح الرطوبة (في الجدار).. »[٦٤]، وفي نص ثالث «...سيقوم (المستأجر) بإعادة بناء سقف المنزل المستأجر.. »[٦٥]، كما ان بعض النصوص القانونية اشارت الى عملية صيانة السقف من قبل المستأجر طالما بقي هو في البيت «...طالما يعيش المستأجر في المنزل هو سوف (يعيد) بناء سقف المنزل..»[٦٦]، ولا تقتصر صيانة السقوف على الغرف والقاعات فقط بل شملت ايضا الاروقة المسقفة كما اشار الى ذلك احد النصوص «...سيقوم (المستأجر) بإزالة الشرفة القديمة وسيقوم (من جديد) بتسقيف الرواق المدمر...»[٦٧]، وقد تكون الصيانة لكل السكن من اساسه الى سقفه «... سوف يصونه بالترتيب من السقف إلى الأساس... »[٦٨] .

وفي الختام ، فلا بد من القول ان الأدلة الاثارية حول سقوف مباني بلاد الرافدين القديمة كانت قليلة ومحدودة ، وعلى وجه الخصوص السقوف التي استعملت الاخشاب او اغصان الاشجار وحصر القصب في تسقيفها ، لانها قابلة للتلف والاندثار اذا ما تعرضت لظروف مناخية او تراكم عليها التراب زمنا طويلا ، اما السقوف التي استعمل الآجر بتسقيفها – على قلتها – فقد ساعدت المنقبين على معرفة شكل السقف ومادة بنائه لبقائها ، كما في بعض قبور المقبرة الملكية او قبر شولكي او القبور التي عثر عليها وولي تحت ارضيات بعض البيوت السكنية ، او بعض المباني الآشورية .

على العموم ، فان ما تم اكتشافه من سقوف ، كما ذكرنا ، واستنادا الى بعض آراء المنقبين في ضوء بعض الدلائل ، فان السقوف كانت على ثلاث انواع : السقف الجملوني ، والسقف المقبب – سواء كان نصف دائري او مخروطي كما في سقوف مباني الثولوس– ، والسقف المستقيم ، وهو اكثر السقوف استعمالا في المباني في جنوب ووسط بلاد الرافدين .

ومن الجدير بالإشارة ان النصوص المسمارية قدمت ادلة كتابية على سقوف المباني وانواع الاخشاب التي كانت تستعمل في تسقيفها ، وحرص الملوك على اختيار افضل انواع الاخشاب لتسقيف قصورهم ومعابد الالهة .

اما سقوف بيوت القصب (الصرايف) ، فمن المؤسف له ان المنقبين لم يعثروا على بقايا لاي بيت قصبي، وان معرفتنا من وجودها في بيئة بلاد الرافدين جاءت من خلال مشاهد الاختام الاسطوانية ، ولا نعتقد ان تسقيف بيوت القصب سابقا يختلف عن تسقيف الصرايف حاليا، بسبب التشابه الكبير في اشكالها ، واستعمال مادة التسقيف ذاتها .

الأشكال والصور:

(شكل ١) رسم تخيلي للبيت السكني في حسونة ذي السقف الجملوني
د. وليد الجادر ، العمارة حتى عصر فجر السلالات ، حضارة العراق، ج٣، بغداد ١٩٨٥،٨١

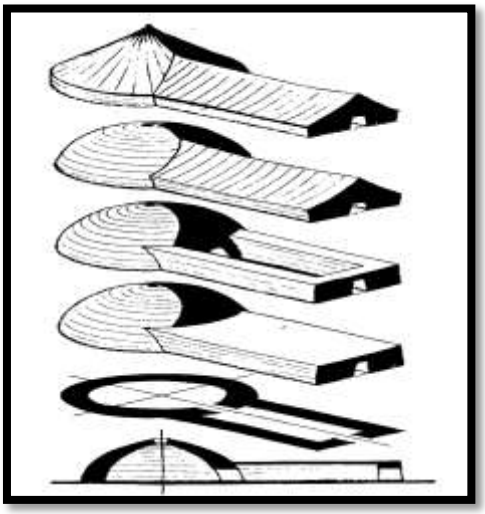

(شكل ٢) نماذج بيوت الثولوي، و يتضمن جميع الآراء حول شكلها الأصلي
سيتون لويد، اثار بلاد الرافدين ، ت: د. سامي سعيد الاحمد، بغداد ١٩٨٠ ، ص٨٥

(صورة ٣) بقايا السلم المبني من الآجر في احد البيوت السكنية في اور

Dr. Mohammed K. Rokan, Plans and Architecture of Residential Houses in Mesopotamia, Logvino 2018, P. 33.

(شكل ٤) صورة تخيلية للبيت ذي الطابقين في اور

وولي، ليونارد، وادي الرافدين مهد الحضارة ، ت: احمد عبد الباقي، بغداد ١٩٤٨ .

(صورة ٥) بعض قبور المقبرة الملكية ، ويتضح فيها انواع السقوف التي كانت معقودة على شكل جملون وعقود أخرى نصف دائرية .

WOOIIEY, L. , UR ECXAVATIONS , V.2 , THE ROYAL CEMETERY, NEW YORK 1934.

(صورة ٦) احد القبور المعقودة على شكل الجملون تحت ارضية احد بيوت اور

(صورة ٧) سقف مدخل قبر الملك شولكي

سيتون لويد، اثار بلاد الرافدين ، ت: د. سامي سعيد الاحمد، بغداد ١٩٨٠ ، ص٨٥

(شكل ٨) طبعة ختم اسطواني من عصر الوركاء لمشهد ابقار وبيت من القصب

فرج بصمه جي ، الاختام الاسطوانية في المتحف العراقي (اوروك وجمدة نصر) منشورات نابو ١٩٩٤، ص٥٢

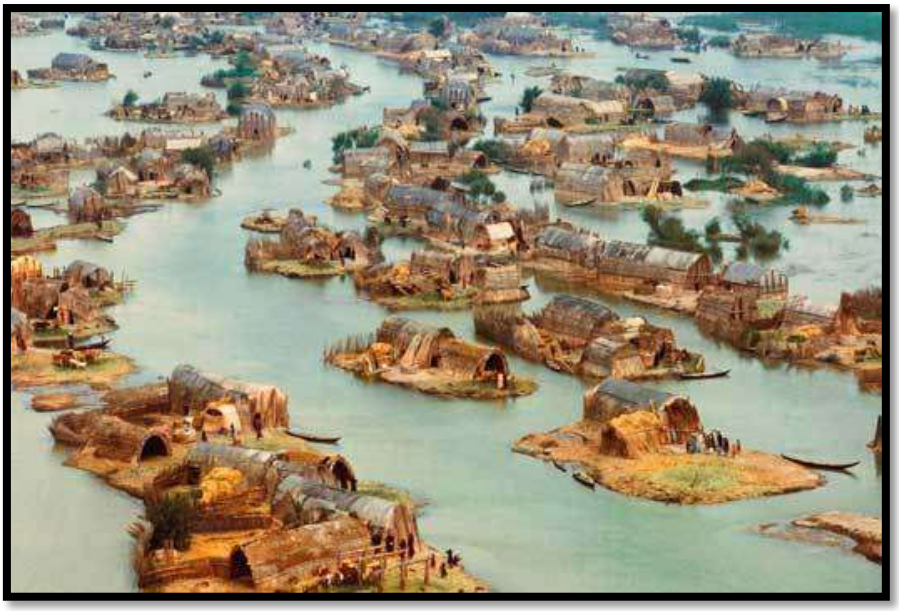

(صورة ٩) بيوت القصب (الصرايف) في اهوار العراق

(صورة ١٠) بناء الصريفة حاليا في جنوب العراق ، والصورة توضح عملية ثني حزم القصب لتشكيل الهيكل

الهوامش :

[1.] Kozlowski, S. K. Nemrik, an A ceramic Village in Northern Iraq .Warsaw 2000.P.36.

[2.] Braidwood, R. .Excavations in Iraq Kurdistan .Chicago 1960.P.42-43

[٣] . سفر، فؤاد ، حفريات تل حسونة. سومر، ع ٢، ج ١ ، بغداد ١٩٤٥ ، ص،٣٤-٣٦.

[٤] . الجادر، وليد، العمارة من عصر فجر السلالات (حضارة العراق)، ج٣ ، بغداد ، ١٩٨٥ص ٨٢.

[5.] Merpert, N. Y. The archaeological research in the Sinjar valley,Sumer1971. Vol. 27, № 1.p.13.

[6.] Kirkbride, D. Umm Dabaghiyah1972 : a Second preliminary Report. Iraq(1973). Vol. 35, № 1.p.3.

[7.] Mallawan, M. E.. Excavations at Tall Arpachiyah. Iraq L (1935). Vol. 2, № 1.P.27-29.

[8.] Ibid

[9.] Tobler, A. J. , Excavation at Tabe Gawra , Uni. Of Pennssylvania Press (1951), Vol. 2, P. 43.

[10.] Ibid

[11.] Dr. Rokan, Mohammed k., Plans and Architecture of Residential Houses in Mesopotamia, Logvino 2018, P. 33.

[١٢] . حنون ، نائل ، المدافن والمعابد ، ج١ (المدافن وشعائرها)، دمشق ٢٠٠٦ ، ص ١٤٦ ، ١٤٨.

[١٣]. لويد ، سيتون، آثار بلاد الرافدين ، ت: سامي سعيد الأحمد ، بغداد ١٩٨٠ ، ص١٨١.

[14.] Mallowan. M. E.L. The excavations at Nimrud (KALHU).IRAQ,1957,vol: 19. P. 15.

[15.] Mallowan . M. E .L., OP . Cit , p . 15 – 16.

[١٦] . الراوي ، د. فاروق ناصر، دراسة في تسقيف العمائر العراقية القديمة، التراث والحضارة، العدد ١٢-١٤ ، بغداد ١٩٩٠ ، ص٥٠.

[١٧] . يفترض الا يكون عرض القاعة او الغرفة اكثر من ٤ أمتار، وفي حال كان اعرض من ذلك عندها يجب وضع دعامات وسطية تمتد مع طول القاعة لتحمل الجسور الخشبية المتقابلة، ولكن غالبا نجد قاعات القصور الملكية في جنوب بلاد الرافدين وشماله لا يتجاوز عرضها أربعة أمتار، لتكون ملائمة الى أطوال جذوع النخيل او الأخشاب ، وليكون السقف قويا.

[١٨] . عبو ، عادل نجم.الصيانة واساليب التسقيف في بوابة – أدد الآشورية. سومر (١٩٧٥)،ع ١ ، ص١٦١.

[19.] Lyon,D.G.,Keilschrifttextesargon's,königs von assyrien(722-705v. chr), Leipzig (1883),24:30.(= Lyon sar)

[20.] TCL 3 211; CAD,G,P.145:b

[21.] CAD,Ṣ,P.108:b

* كتب الباحث الترجمة العربي للنص المسماري في متن البحث مع الإشارة الى المصدر الذي ورد فيه النص المسماري ، كما انه استشهد بجزء من النص للإشارة الى موضوع بحثنا ، لذلك وضع الاقتباس بين قوسين ونقاط قبل الجزء المقتبس وبعده .

[22.] Haupt, P., Akkadische und summerischekeilschrifttexte, Leipzig(1992).(=ASKT). P. 130:67 f

[23.] CAD, T,P.284:a ;TCL,3,185

[24.] CAD,Ṣ,P.239:a

[25.] CAD,Ṣ,P.241:b

[26.] CAD,R,P.404:b;Ranke,H, The old Babylonian Expedition of the University of Pennsylvania, Series A:Cuneiform Texts, Philadelphia (1906).(=BE,6/1),105:1

[27]. CAD,R,P.404:b.

[28.] CAD,M/2,P.103:a.

[29]. CAD,G,P.144:b.

[30.] CAD,Ḫ,P.36:b.

[31.] Smith, s., cuneiform texts from Babylonian tablets in the British museum,London,1923,(= CT, 37), 8 i 47, cf., CAD,R,P.61:a.

[32.] CAD, U/W,P.212:b.

[33.] Clay, A.T , Miscellaneous Inscriptions in the Yale Babylonian Collection , Oxford(1915).(YOS,1), 44 ii 10f. ;CAD,A/1,P.478:b.

[34.] King, L. W, Cuneiform texts from Babylonian tablets in the British museum,London,1910,(=CT 29), ll,a:13 and 17

[35.] CAD,P,P.423:b.

[36.] CAD,A/2,P.198:b.

[37]. Lutz ,H.F ,Sumerian and Babylonian Texts, Philad – elphia(1919), (=PBS,1/2), 44:5

[38].CAD, Š/2,P.408:b .

[39]. Birot, M .,Tablettes Économiques et Administrative D'époque, 22:5.

[40]. الراوي ، مصدر سابق ، ص ٥١.

[41]. Luckenbill, D. D. Ancient records of Assyrian and babylonia,Chicago,1926. «=ARAB,1), P.16

[42]. VAB 4 256 ii 3,;CAD,A/1,P.487:b

[43]. KAH 1 2 ii 14 ;CAD,E,P.276:a

[44]. VAB 4 230 I 24 ;CAD,B,P.18:b

[45]. VAB 4 256 ii 5 ; CAD,Q,P.275:a

[46]. VAB 4 158 A vi 45 ;CAD,A/1,P.450:b

[47]. CAD,B,P.327:a

[48]. CAD,B,P.327:a; TCL 3 211

[49]. Lie,G.,The inscriptions of Sargon II, king of Assyria. Part I: The Annals,geuthner,1929. «= Lie Sar), 76 :16.

[50]. VAB 4 230 i 22 ; CAD,E,P.276:a

[51]. OIP 2 132:69 . CAD,k,P.273:a

[52]. Borger Esarh. 87:22; CAD,N,P.173:b

[53] . TCL 3, + KAH 2141:218 ; CAD,N/2,P.7:b

[54]. VAB 4 126 iii 43 ; CAD,Ṣ, ,P.242:b

[55]. VAB 4 158 A vi 46 ;CAD,B,P.19:b

[56]. VAB 4 126 iii 30 ; CAD, Š/3,P.94:a

[57]. CAD,D,P.106:a; OIP 2 133:84

[58]. Keilschrifttexteaus Assur JuristischenInhalts ,German,1927. «=KAJ), 192:18; CAD,M/2,P.218:a

[59]. CAD,A/2,P.119:b

[60]. CAD, Š/2,P.206:b

[61]. CAD,k,P.164:a

[62]. CAD,R,P.403:a.

[63]. Chiera, E. Old Babylonian Contracts, Philadelphia (1922).(=PBS,8/2),218:10 ; CAD,s,P.228:a

[64]. CAD,A/1,P.350:b

[65]. Chiera, E. Legal and Administrative Documents from Nippur, Chiefly from the Dynasties of ISIN and LARSA, Philadelphia (1914)(= PBS 8/1),
102. CAD, E, P.199:b

[66]. Landesberger, B., Die Serieanaittišu, Roma (1937).(=Ai),IV iv 10.;CAD,B,84:b.

[67]. CAD, Ṣ,P.239:a

[68]. Legrain,L.,Historical fragments,philadelphia,1922.(=PBS,13), 53: 9 . CAD, u,P.307:b

المصادر العربية:

١. الجادر، د. وليد، العمارة من عصر فجر السلالات (حضارة العراق)، ج٣ ، بغداد ، ١٩٨٥

٢. الراوي ، د. فاروق ناصر، دراسة في تسقيف العمائر العراقية القديمة، التراث والحضارة، العدد ١٢-١٤، بغداد ١٩٩٠.

٣. حنون ، د. نائل ، المدافن والمعابد ، ج١ (المدافن وشعائرها)، دمشق ٢٠٠٦.

٤. لويد ، سيتون، آثار بلاد الرافدين ، ت: سامي سعيد الأحمد ، بغداد ١٩٨٠.

٥. سفر، فؤاد ، حفريات تل حسونة، سومر، ع٢، ج١، بغداد ١٩٤٥.

٦. عبو ، عادل نجم.الصيانة وأساليب التسقيف في بوابة – أدد الآشورية، سومر، ع١، بغداد ١٩٧٥.

٧. وولي، ليونارد، وادي الرافدين مهد الحضارة ، ت: احمد عبد الباقي، بغداد ١٩٤٨ .

المصادر الأجنبية :

1. Birot, M .,Tablettes Économiques et Administrative D'époque.
2. Braidwood, R. .Excavations in Iraq Kurdistan .Chicago 1960.
3. Chiera, E. Legal and Administrative Documents from Nippur, Chiefly from the Dynasties of ISIN and LARSA, Philadelphia (1914).
4. Chiera, E. Old Babylonian Contracts, Philadelphia (1922).
5. Clay, A.T , Miscellaneous Inscriptions in the Yale Babylonian Collection , Oxford (1915).
6. Haupt, P., Akkadische und summerischekeilschrifttexte, Leipzig (1992).(= ASKT).
7. KeilschrifttexteausAssur JuristischenInhalts ,German,1927.
8. King, L. W, Cuneiform texts from Babylonian tablets in the British museum, London,1910.
9. Kirkbride, D. Umm Dabaghiyah1972: a Second preliminary Report. IRAQ (1973), Vol. 35, № 1.
10. Kozlowski, S. K. Nemrik, an A ceramic Village in Northern Iraq .Warsaw 2000.

11. Landesberger, B., Die Serieanaittišu, Roma (1937).
12. Landsberger,B.,DieNeuBabylonischenKönigschriften, Leipzig (1912).(=VAB, Vol.4).
13. Legrain, L., Historical fragments,philadelphia,1922.
14. Lie,G., The inscriptions of Sargon II, king of Assyria. Part I: The Annals,geuthner,1929.
15. Luckenbill, D. D. Ancient records of Assyrian and babylonia, Chicago, 1926.
16. Lutz , H.F ,Sumerian and Babylonian Texts, Philad – elphia (1919).
17. Lyon, D. G., Keilschrifttextesargon's, königs von assyrien (722-705v. chr), Leipzig (1883),24:30.(= Lyon sar)
18. Mallawan, M. E.. Excavations at Tall Arpachiyah. IRAQ (1935), Vol. 2, № 1.
19. Mallowan. M. E.L. The excavations at Nimrud (KALHU). IRAQ (1957),vol 19.
20. Merpert, N. Y. The archaeological research in the Sinjar valley, SUMER (1971). Vol. 27, № 1.
21. Messerschmidt,L., Keilschrifttexteaus Assur historischenInhalts,Part1,Toronto,1911.(=KAH).
22. Ranke, H, The old Babylonian Expedition of the University of Pennsylvania, Series A: Cuneiform Texts, Philadelphia (1906).
23. Rokan, Mohammed K., Plans and Architecture of Residential Houses in Mesopotamia, Logvino 2018.
24. Smith, s., cuneiform texts from Babylonian tablets in the British museum, London,1923.
25. Tobler, A. J. , Excavation at Tabe Gawra , Uni. Of Pennssylvania Press (1951), Vol. 2, P. 43.

26. The Assyrian Dictionary of the Oriental Institute of The University of Chicago. (CAD).
27. Thurau-Dangin,F, une relation de la huitieme champagne de sargon,paris (1912).(=TCL,3),370.